تقرير

جورج شاهين

هكذا عبرت المرحلة الأولى من مهمة لودريان في لبنان: أعمل لتسهيل حوار بنّاء وجامع لحلّ توافقي وفعّال

بين 21 حزيران الماضي و24 منه، امضى الموفد الخاص للرئيس الفرنسي ايمانويل ماكرون، الوزير السابق جان ايف لودريان، الجزء الاول من مهمته التي كلف بها في لبنان في 7 من الشهر عينه لتوفير مخارج للازمة

جاء الاعلان عن المهمة الجديدة للودريان بعد يومين على تحديد رئيس المجلس النيابي نبيه بري موعدا للجلسة الثانية عشرة لانتخاب رئيس للجمهورية في 14 حزيران الفائت. بعد سبعة ايام على الاعلان الذي تقدم به 32 نائبا بسحب ترشيح النائب ميشال معوض، وترشيح مدير قسم الشرق الاوسط وآسيا الوسطى في صندوق النقد الدولي الوزير السابق جهاد ازعور ليخوض السباق الى قصر بعبدا في مواجهة رئيس تيار المردة الوزير السابق سليمان فرنجية، بوجود مرشحين آخرين من غير المعلن عنهم، جاءت مهمة لودريان في مرحلة تزامنت ومجموعة من التطورات المؤثرة في الاستحقاق الرئاسي والتي لم تسمح بانجازه، وعلى مسافة عشرة ايام من القمة الفرنسية - السعودية التي جمعت الرئيس ماكرون وولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان في السابع عشر من الشهر الماضي في باريس. وعلى وقع اللقاءات الثنائية الفرنسية - الاميركية والسعودية وما بين قطر والسعودية وايران، بالتزامن مع الحراك الذي تقوم به مجموعة السفراء من ممثلي لقاء باريس الخماسي الذي اطلق اعماله في مساعدة لبنان في 6 شباط الماضي، وضم الى فرنسا كلا من السعودية، الولايات المتحدة الاميركية، قطر ومصر.

عند تكليف لودريان، تردد حديث عن تجميد عمل خلية الازمة التي كانت مكلفة متابعة الوضع في لبنان الى جانب الرئيس ماكرون في قصر الاليزيه والتي تضم كلا من مستشار الرئيس الفرنسي لشؤون الشرق الادنى باتريك دوريل، المدير العام لجهاز المخابرات الخارجية في فرنسا والذي يعرف باسم الادارة العامة للامن الخارجي برنارد ايميه، وكبير المستشارين الديبلوماسيين لماكرون السفير السابق لفرنسا في بيروت ايمانويل بون.

> **لم يتمكن احد من ان ينال موقفا فرنسيا واضحا من مبادرة بلاده السابقة ولا من موعد طاولة الحوار**

في مثل هذه الظروف، وصل لودريان الى بيروت عصر يوم الاربعاء 21 حزيران الماضي، وباشر على الفور جولته التي رافقته فيها السفيرة الفرنسية لدى لبنان آن غريو، على القيادات الرسمية بزيارة عين التينة للقاء الرئيس نبيه بري قبل ان يزور في صباح اليوم التالي رئيس حكومة تصريف الاعمال نجيب ميقاتي في السرايا. كما جال وفق برنامج مكثف امتد على مدى الايام الاربعة، على كل من البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي ورؤساء الكتل النيابية والاحزاب اللبنانية والمرشحين الرئاسيين، وقائد الجيش العماد جوزف عون، وشخصيات لبنانية قبل ان يختم جولته بزيارة وزير الخارجية عبدالله بوحبيب.

وهكذا توزعت لقاءاته بين المقرات الرسمية والحزبية وقصر الصنوبر، حيث مقر السفارة الفرنسية في لبنان، مستطلعا الاجواء الجديدة التي اعقبت تكليفه بالمهمة الخاصة في لبنان وما انتهت اليه جلسة الرابع عشر من حزيران الانتخابية على مستوى خارطة المواقف والتوازن السلبي الذي حال دون انتخاب الرئيس العتيد للجمهورية، في ظل عدم قدرة اي مرشح على الحصول على نسبة ثلثي اعضاء المجلس النيابي من الدورة الاولى، في ظل تعطيل كل ما يؤدي الى انعقاد الدورات المتتالية التي يمكن ان يفوز بها المرشح بالاكثرية المطلقة اي النصف زائدا واحدا.

> **لودريان بحّ مهمته على وقع بيانات دولية عبرت عن غضبها من فشل جلسة 14 حزيران في انتخاب الرئيس**

في ظل صمت ديبلوماسي فرنسي مقصود، في غياب الاعلان عن اي برنامج رسمي لجولات لودريان وجدول اعماله وما حمله من اقتراحات، وعلى وقع الصدى السلبي الذي عبرت عنه مجموعة بيانات صدرت عن وزارات الخارجية الاميركية والفرنسية والبريطانية، وممثلة الامين العام للامم المتحدة في بيروت يوانا فرونيتسكا، والتي عبرت مجتمعة عن صدمتها وانزعاجها من فشل جلسة 14 حزيران بانتخاب الرئيس العتيد للجمهورية، بدا لودريان مهمته من عين التينة حيث التقى رئيس مجلس النواب محتفظا بنسبة عالية من الصمت قبل ان يتحدث من منبر الصرح البطريركي في بكركي بعد لقائه مع البطريرك الماروني حيث ادلى بتصريح مختصر لخص فيه مهمته، لافتا الى انها "لمعاينة الوضع في لبنان وتبادل الاراء حول التأزم السياسي وتداعيات الازمة الاقتصادية على الحياة الاجتماعية لجميع اللبنانيين. وقد عرضت لغبطته نقاط هذه المهمة". لفت الى ان معرفته بلبنان واللبنانيين وعلاقته القديمة مع العديد منهم هي التي دفعت الرئيس ماكرون لتكليفه بـ"مهمة التشاور والاستماع الى المعنيين بطريقة تساعد هذا البلد على الخروج من ازمته السياسية وهو مصر على تحريك كل ما هو ضروري لحل هذه الازمة للخروج فورا من الازمة السياسية ووضع تصور لاجندة اصلاحات لكي يستعيد البلد حيويته واماله بالخروج من محنته".

عند كشفه هذه العناوين، احاط لودريان بباقي مضمون لقاءاته بالسرية المطلقة، تاركا لزواره ومن زارهم اطلاق المواقف ومعها التسريبات عما دار فيها. وهي ظاهرة رافقت لقاءاته جميعها، كما جرى في قصر الصنوبر عندما استقبل المرشح لرئاسة الجمهورية الوزير السابق سليمان فرنجية والوزير السابق زياد بارود في حضور مجموعة من الوزراء السابقين من اصدقائهما. وفي انتظار موعد قريب ليلتقي خلاله بالمرشح الوزير السابق جهاد ازعور، جال على عدد من رؤساء الكتل النيابية، فكانت له زيارة الى كل من رئيس كتلة نواب الجمهورية القوية سمير جعجع في مقره في معراب، ورئيس كتلة نواب لبنان القوي جبران باسيل في منزله في البياضة. كما استقبل في قصر الصنوبر على التوالي كلا من رؤساء كتلة الوفاء للمقاومة محمد رعد، كتلة نواب الكتائب اللبنانية سامي الجميل، كتلة نواب تجدد ميشال معوض، رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط ومعه رئيس كتلة نواب اللقاء الديمقراطي تيمور جنبلاط، التوافق النيابية فيصل كرامي، وعضو كتلة نواب صيدا عبدالرحمن البزري، وعدد من النواب التغييريين والمستقلين بعدما عبّر بعض منهم عن عدم رغبتهم باللقاء مع اي موفد اجنبي.

في ختام زيارته الاولى الى بيروت، وبالاضافة الى زيارته لقائد الجيش العماد جوزف عون للبحث في الشؤون السياسية العامة دون العسكرية منها والامنية، زار لودريان وزير الخارجية والمغتربين في حكومة تصريف الاعمال عبدالله بوحبيب في مكتبه في الوزارة، صباح السبت 24 حزيران، برفقة سفيرة فرنسا في لبنان آن غريو ووضعه في اجواء لقاءاته مع الاطراف اللبنانيين، على ان يواصل اتصالاته قريبا. وعمم لودريان وهو في طريقه الى المطار متوجها الى باريس بيانا مكتوبا على وسائل الاعلام، اعاد فيه التذكير بالمهمة التي كلف بها بناء على طلب رئيس الجمهورية الفرنسية ايمانويل ماكرون الذي عينه موفده الشخصي من اجل لبنان. ووصف زيارته بـ "الاولى" التي اراد منها ان يصغي، لذلك التقى "بالسلطات المدنية والدينية والعسكرية بالاضافة الى ممثلين عن الاطراف السياسيين". وبعدما لفت بأنه سيرفع "تقريرا حول هذه المهمة الى رئيس الجمهورية فور عودتي الى فرنسا"، وهو "سيعود مجددا الى بيروت في القريب العاجل لأن الوقت لا يعمل لصالح لبنان". ◄

◄ لهذه الاسباب المختلفة وما انتهت اليه وقائع الجولة الاولى للودريان توسعت رقعة التسريبات الاعلامية، فهو وفق السياسة التي اعتمدها، لم يفصح عن موقف نهائي من مفاصل مهمة من زيارته. ولم يسمع تاليا اي من زواره كلاما حاسما ومحصورا بتخلي العاصمة الفرنسية عن تاييدها لترشيح فرنجية لرئاسة الجمهورية ونواف سلام لرئاسة الحكومة، فتعددت القراءات منها بين من اكد ان هذه المبادرة مستمرة كما كانت قبل وبعد الزيارة وجلسة 14 حزيران، فيما جزم آخرون بانها باتت من الماضي وان صفحة جديدة فتحت وفق قواعد ومعطيات جديدة يبحث عنها لودريان لتكوينها من جديد، لتتحول النسخة المنقحة من هذه المبادرة التي ستكون مادة لمهمته في المرحلة التالية. وهي عملية لن تكتمل قبل الجوجلة الاولى التي سيجريها مع الرئيس ماكرون تأسيسا على ما جمعه من معطيات وما انتهت اليه الجولة الاولى من مهمته في بيروت. وقبل ان يتوسع في مشاوراته في اتجاه الشركاء الاربعة الاخرين من اطراف لقاء باريس، مع حديث عن امكان ضم ايران الى هذه المجموعة الخماسية لتسهيل التوصل الى الحلول المرجوة لأزمة لبنان.

الى هذه المعطيات، لم يحسم لودريان في لقاءاته ما ينوي الاقدام عليه في شأن طاولة الحوار التي تحدث عنها في اطار سعيه اليها. ولفت الى ضرورة ان يكون "حوارا بناء وجامعا بين اللبنانيين من اجل التوصل الى حل يكون في الوقت نفسه توافقيا وفعالا للخروج من الفراغ المؤسساتي والقيام بالاصلاحات الضرورية". وعلى الرغم من الاجماع على مثل هذه الدعوة بلا شروط مسبقة، فقد بقي الخلاف قائما من ان تعقد بعد انتخاب الرئيس او قبل ذلك. ولكل من النظريتين مَن يدافع عن واحدة منها، وهو انقسام يتمحور بين من يقول ان عقدها بعد انتخاب الرئيس تسهل مهمته وتجعله مؤتمنا على تطبيقها بعد ان توافرت له خارطة الطريق الفضلى الى قيادة الاصلاحات المطلوبة. ومنعا لوقوعه تحت وابل من الشروط المسبقة التي تكبله لاسيما ان كانت من باب الالتزامات الخارجية التي تؤثر في مضمونها اللبناني الداخلي. وبين مَن يريد الحوار قبل انتخابه للتوافق عليه مسبقا ورسم العناوين الرئيسة لمهمته منعا لأي خلل يمكن ان يطرأ في اي وقت تحت وطأة الظروف الاقليمية المتحركة بما لها من تأثير مباشر على الساحة الداخلية ومدى تداخلها مع ما يجري في المنطقة.

وفي انتظار ان يعبر الموفد الفرنسي الخاص مهمته في باريس وبعض العواصم التي سيزورها، توجهت الانظار تلقائيا الى بعض العواصم الشريكة لفرنسا في هذه المهمة وتوقفت المراجع اللبنانية امام مسلسل الخطوات التي يمكن ان تقود الى استشراف المحطات المقبلة وسط المزيد من المخاوف نتيجة ما هو قائم من خلافات حادة يصعب من خلالها البحث عن القواسم المشتركة تأمينا لحلول داخلية يقودها اللبنانيون بانفسهم. وعليه، كيف سيكون الحال ان كان هذا الانقسام الداخلي له ما يعكسه ويعززه ان كان قائما على مستوى الاطراف الخمسة الذين لم يلتقوا بعد على استراتيجيا رئاسية واحدة سوى مطالبة اللبنانيين على المبادرة رغم فشلهم في ذلك، قبل ان تنضم ايران اليهم ان تحقق الاجماع حول هذه الخطوة. فتركيبة الـ 5 + 1 التي تعالج الملف النووي الايراني لم تحقق بعد ما تهدف اليه منذ سنوات عدة اعقبت تجميده بين واشنطن وطهران.

وعليه، طرحت الاسئلة المتعددة ومنها: هل تتكرر التجربة مرة اخرى على مستوى الملف اللبناني، وهل من قوة فاعلة يمكنها ان توفر الاجماع المطلوب لرعاية الحلول المقترحة؟ ام ان المهمة صعبة وستكون نهاياتها طويلة ومتعثرة؟ اذا كان الجواب الفوري صعب وغير متوافر من اليوم، فما على اللبنانيين سوى انتظار المساعي المبذولة على اكثر من مستوى في انتظار ما يمكن ان تؤدي اليه من نتائج مهما طالت الازمة وكلفتها الباهظة المقدرة على لبنان واللبنانيين. فلننتظر.